سِلْسِلَةُ: إِتْحَافِ الحَاضِرِ والبَادِي بِتَفْرِيغِ أَشْرِطَةِ العَلَّامَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي (٦٤)

عقبات في طريق طلب العلم

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ

محمد بن هادي المدخلي حفظه الله

المُدرِّس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

ألقاها فضيلته في جامع الشيخ أحمد النجمي رحمه الله.

بالنجامية بمدينة صامطة بعد مغرب الجمعة ٦ جمادى الأولى ١٤٤٦هـ

اعْتِنَاءُ

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

-عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْ والِدَيْهِ ومَشَايِخِه وَالمُسْلِمِيْنَ أَجْمَعِيْنَ-

أبو قصي المدني

سِلْسِلَةُ: إِتْحَافِ الحَاضِرِ والبَادِي بِتَفْرِيغِ أَشْرِطَةِ العَلَّامَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي (٦٤)

محاضرة بعنوان:

«عَقَبَاتٌ فِي طَرِيْقِ طَلَبِ العِلْمِ»

لِفَضِيلَةِ الشَّيخِ العَلَّامَةِ

د. مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي المَدْخَلِي -حَفِظَهُ اللهُ-

المُدرِّس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

ألقاها فضيلته بعد مغرب الجمعة، ٦ جمادى الأولى ١٤٤٦هـ

بمسجد الشيخ أحمد النجمي رَحِمَهُ اللهُ بالنجامية بمدينة صامطة

اعْتِنَاءُ

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

-عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْ والِدَيْهِ ومَشَايِخِه وَالْمُسْلِمِيْنَ أَجْمَعِيْنَ-

بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرة بعنوان: «عقبات في طريق طلب العلم» (١)

قال الشيخ محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله-:

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله الصادق الأمين، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فإنه ليسرُّني كثيرًا أن أشارك إخواني الكرام، وأبنائي الأحبة في هذه الليلة المباركة التي ينطلق فيها هذا المنشط -منشط العلم- في هذا المسجد الذي عَمُرَ بالعلم، وقام فيه عَلَمٌ من أعلام أهل العلم، وقام فيه جَبَلٌ من جبال الدعوة إلى الله -تبارك وتعالى- على منهاج رسول الله ﷺ، ذُكِرَت به المنطقة، وذُكِرَت به هذه البلدة، وذُكِرَ به في العصر الحديث قومه، وهذا من بركة العلم على أهله، ذلكم الجبل هو شيخنا العالم الفقيه المُحَدِّث الأثري الداعية إلى الله، شيخ جُلِّ مشايخنا وشيخنا في الوقت نفسه، ونحمد الله أن متَّعنا ومدَّ في عمره حتى أدركناه، فألحقنا نحن الأصاغر بالأكابر، وتعلَّمنا على يديه العلم، والعمل، والأخلاق، والآداب، فما راءٍ كمن سمعا، تعلَّمنا ذلك على يديه، رحمة الله عليه، فقد كان آيةً في الصبر، والتحمل، والبذل، والعطاء، والمحبة لطلبته وقُصَّاده، والحدب عليهم، ومواساتهم، والنصيحة لهم، وحياطتهم برعايته وعنايته بعد الله، وتفقُّد أحوالهم، كل كلمة أقولها مما سمعتم بحروفها وأنا أعرف ماذا أقول فيها عنه تمامًا، فقد جمع الله فيه صفاتٍ متفرقة في رجال متعددين، فرحمه الله تعالى، وغفر

---

(١) ألقاها فضيلته بعد مغرب الجمعة، ٦ جمادى الأولى ١٤٤٦هـ بمسجد الشيخ أحمد النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ بالنجامية بمدينة صامطة.

له، وضاعف مثوبته، وجزاه عنَّا وعنكم وعن الإسلام والمسلمين وعن سُنَّة رسول الله ﷺ وعن العقيدة السلفية خير الجزاء[1].

أقول: يسرُّني في هذه الليلة أن أشارك إخوتي وإخواني وأبنائي جميعاً في هذا المنشط العظيم، ألا وهو ما ترونه وسمعتموه مما يسمى بالدورات العلمية التي تحمل اسم شيخنا الجليل رحمه الله، **وأنا لا أحب أن أقول دورة فلان، فالرجل لا تأتيه الدورة.**

هذا الذي ترون من آثار دعوة شيخنا رحمه الله المباركة، فنجتمع في هذه الليلة وفي سنوات مضت آسفني جدًا أن لم أكن مشاركًا معكم فيها، ولكن عزائي في أنَّ مَن كان قائمًا معكم فيها هو خيرٌ مني، وأوسع علمًا مني، وأكثر نفعًا مني، وأنا أشارك بجهد المقل، فأسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم جميعًا لما يحبه ويرضاه.

أيها الأحبة في الله: إنَّ هذا الشرف العظيم الذي شرَّف الله به ﷻ مَن أراد أن يُشرِّفه -أعني العلم- يحتاج إلى صبر، ويحتاج إلى تضحية، ويحتاج إلى جدٍّ واجتهاد.

فأما الصبر ففي تحصيله، أو على تحصيله، وأما التضحية فببذل ما هو دونه لأجله، وأما الجد والاجتهاد فاستفراغ الوسع والطاقة في تحصيله.

إخوتي الأحبة: الله -جلَّ وعز- قد نوَّه بشأن العلم، وعظَّمه، ورفع منزلة أهله، وهكذا رسوله ﷺ نوَّه بشأن العلم، وعظَّمه، ورفع منزلة أهله.

قال ﷻ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ الجواب: لا ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ [الزمر:٩]، أصحاب العقول هم الذين يتذكرون حينما يسمعون مثل هذه الآيات.

---

(١) إنه الشيخ أحمد بن يحيى النجمي رحمه الله.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ وتذكُّر أولي الألباب يكون بفهم الخطاب، وحسن الجواب.

أمَّا فهم الخطاب؛ فمعرفة ما أراده الله ﷻ، وأراده رسوله ﷺ.

وحسن الجواب بالامتثال، فإن كان الأمر طلباً يريد حصول الفعل بادر، وإن كان الأمر طلباً يمنع كفَّ، فهذا هو الذي يفهم الخطاب، ويحسن الجواب، أما الذي يسمع الخطاب ولا يحسن الجواب؛ فهذا يمرُّ الذي يُلقى على سمعه وهو لا يستفيد منه كمرِّ السحاب، يمرُّ سريعًا وهو يحسبه بطيئًا، فلا ينتفع به، ولا يحس إلا وقد مضى عليه الوقت لم يستفد منه.

إنَّ هذا العلم -الذي شرَّف الله ﷻ أهله وامتنَّ به على مَن أراد مِن عباده- يجب أن يُسعى إليه بالجد والعزم؛ وذلك لأنه عنوان الخير، والمرء دائمًا إذا سمع بالخير سارع إليه.

قال ﷺ: «**مَن يُرِدِ اللهُ بهِ خيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ**»(١)، وإذا كان الأمر كذلك -وهو كذلك- فإنه يجب على المخاطَب أن يحتفل بهذا الخطاب، وأن يحتفل للعلم، ويمضي إليه سريعًا، ويجتهد في ذلك غاية الاجتهاد، فإنَّ المرء لا يدري متى يفجؤه الأجل، وإذا كان الأجل قد غُيِّب عنه؛ فإنَّ العاقل يستعدُّ للأجل بصالح العمل.

والعمل لا يكون صالحًا إلا إذا اجتمع فيه أمران: الإخلاص والمتابعة ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف:١١٠].

والعمل الصالح لا سبيل إلى معرفة صلاحه إلا بالعلم؛ فإنه به يعرف ما أوجب الله عليه، وما نهاه الله عنه، وما ندبه إليه، وما كرهه له، وما أباحه ﷻ، فيبادر إلى الواجبات، ويسارع إليها، ويجتهد في المستحبات، ويستكثر منها، ويكف عن المحرمات، ويبتعد عنها، ويتنزه عن المكروهات، ولا يأتيها، ويعمل بالمباحات ما لم تشتبه عليه الأمور فيها، فإذا اشتبهت وَقَفْ، فهذا هو الفقيه الذي قال فيه النبي ﷺ: «**مَن يُرِدِ اللهُ بهِ خيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ**».

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٧١)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١٠٣٧).

وإنَّ المجيء إلى هذه المساجد وحِلَقِ العلم أجره عظيم، فإنه كما قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح الذي في «الطبراني»: «**مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ لَا لِشَيءٍ إِلَّا لِخَيْرٍ يَتَعَلَّمُهُ أَوْ يُعَلِّمُهُ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ تَامَّةٍ حَجَّتُهُ**» وصححه الشيخ ناصر رحمه الله في «صحيح الترغيب»(١).

فانظروا إلى هذا الفضل العظيم على مجرد مجيئك للمسجد تتعلم العلم، جَلستك وجِلستك، جَلستك بالفتح وجِلستك بالكسر في الحلقة تتعلم علمًا كهذا الأجر الذي سمعتموه، فانظر إلى هذا الأجر الوفير على هذا العمل اليسير الذي يبقى معك طول عمرك، وهذا فيه الحث والترغيب على حضور حِلَقِ العلم، ومن هذه الحِلَق: هذه المناشط الدعوية التي تحضرونها ويحضرها إخوانكم في جميع بلدان المملكة، ويُدعى إليها العلماء الأجلاء والمشايخ الفضلاء، يلقون ما عندهم من العلوم إلى إخوانهم وفلذات أكبادهم، فينفعونهم ويفيدونهم.

أيها الأحبة: إنَّ باب العلم هو الباب إلى الجنة، «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا؛ سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ**»(٢)، هذا قول رسولنا ﷺ.

وإذا كان العلم هو الطريق المُسهِّل للوصول إلى الجنة؛ فكيف يُحجِمُ بعد ذلك عن طلبه مَن يسمع مثل هذه النصوص! والموفَّق مَن وَفَّقه الله ﷻ.

هذا العلم يرفع الله به أصحابه كما قال ﷻ: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة:١١].

ويقول ﷺ كما في الحديث الذي خرَّجه مسلم في «صحيحه»(٣) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك حينما ولَّى على مكة نافع بن عبد الحارث، ثم غادر بعد ذلك إلى المدينة عائدًا رضي الله عنه، فلحقه نافع بن عبد الحارث في عُسْفَان -الموضع المعروف إلى الآن بلدة شمالي مكة بحوالي

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير-مكتبة ابن تيمية» (٨/ ٩٤) برقم (٧٤٧٣)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ١٤٥) برقم (٨٦).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (٢٦٩٩).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (٨١٧).

مئة كيلو، اسمها عُسْفَان، وهذا هو الضبط الصحيح، ليس عَسْفان، ولا عَسَفان كما نسمعه من بعض الناس، وإنما هو عُسْفَان فُعْلَان-، فلحقه في عُسْفَان، فرآه أمير المؤمنين عمر ﷺ فقال له: مَن خلَّفت على أهل الوادي؟ فقال: استخلفت عليهم يا أمير المؤمنين ابن أبزى، فقال: ومن هو ابن أبزى؟ قال: رجل من موالينا، قال: أستخلفتَ على أهل الوادي مولىً؟ فقال: يا أمير المؤمنين: أمَا إنه قارئ للقرآن، وعالم بالفرائض، فقال عمر ﷺ: أما وقد قلت ما قلت، فإني سمعت نبيكم ﷺ يقول: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»، ابن أبزى مولى، يعني كان عبدًا من قريش، فأمَّره -استخلفه- نافع بن عبد الحارث -أمير مكة- استخلفه على أشراف قريش، وهو عبد، أصله عبد، لكن ما الذي رفعه؟! رفعه هذا الكتاب، فقد كان قارئًا للقرآن، عاملاً به، عارفًا بالفرائض، فعمر اغتبط هنا، وبشَّر بقول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**».

وعطاء ابن أبي رباح إمام أهل مكة، والمرجع في المناسك فيها، وكان ينادي منادي بني أمية وخلفاء بني أمية: ألا يُسأل بمكة في المناسك إلا عطاء، وذلك لمعرفته التامة بالمناسك، حتى إنَّ الشافعي وعامة علماء الحديث -رحمهم الله- كانوا يتتبعون أقوال عطاء في المناسك بعد أصحاب رسول الله ﷺ؛ وذلك لأنه أخذها من رجلين عالِمين بمناسك رسول الله ﷺ.

أما الأول: فمدرسة أهل مكة البحر الحبر عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- ابن عم رسول الله ﷺ. وأما الثاني: فجابر بن عبد الله ﷺ.

فتخصَّص في هذا الباب، إضافة إلى بقية علم الشريعة، وهو عبد أسود لامرأة من قريش، فبلغ هذه المنزلة بسبب العلم.

يذكرون في السير أنه وقف عنده سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين الخليفة، وقد حجَّ وجاء من دمشق ومعه ابناه -ابنا سليمان بن عبد الملك-، فأخذا يسألانه عن المناسك، أول ما

قدموا المسجد وجدوه قائمًا يصلي، فصلى، ثمَّ لما قضى صلاته أخذوا يسألونه عن المناسك، وهو يجيب عن كل سؤال سألوه، ثم أعطاه قفاه ومشى، فقال سليمان بن عبد الملك لابنيه، قال لهما: (يا ابناي، لا تَنِيَا في طلب العلم وقد رأيتم هذا، إذ وقفنا بين يديه أذلاء)[1]، خليفة، أمير المؤمنين، من بلاد الصين شرقًا إلى الأندلس غرباً، وكان عطاء يعطيهما قفاه، أولاً: لم يقطع صلاته، ثانيًا: بعدما أجابهما أعطاهما قفاه، ما يريد شيئًا من الدنيا، فعرف الخليفة قَدر هذا العلم الذي رفع هذا الرجل، تدرون مَن هذا الرجل؟ عطاء، عبد أسود، لامرأة من قريش من أهل مكة، وكان دميم الخَلق، الخِلقة، وكان أشلَّ اليد، أعرج، عشرين عامًا وهو لا يعرف لحافًا ولا بساطًا إلا حصى المسجد الحرام، ويتعلم العلم، رفعه الله ﷻ به.

وإذا كان الأمر كذلك؛ فالرفعة -معاشر الأحبة- هي في هذا العلم، من أراد الرفعة في الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الرفعة في الآخرة فعليه بالعلم، ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة:١١].

أما في الدنيا؛ فرأيتم بعض درجات أهله كيف رفعهم الله -الآن وسمعتم-، وأما في الآخرة؛ فأمره لا يعلمه حق علمه ولا يقدره حق قدره إلا الله ﷻ، وقد أخبرنا الله به، فهذا هو العلم، هذا هو الشرف، مالك رضي الله عنه يُسأل والخليفة عنده، وعلماء المدينة عنده، وقد سادَ وأكثر طبقته ذهبوا، وبقي من بقي منهم، لكن هو رأسهم، يُسأل فيجيب، ثم يُسأل رحمه الله فيجيب، ويُسأل فلا يجيب، والناس لا يجرؤون عليه، فقالت زوجة الخليفة مادحةً لهذا الموقف:

يَـأْبَى الْجَوَابَ فَلا يُرَاجَعُ هَيْبَـةً ... وَالحَـاضِرونَ نَـوَاكِـسُ الأَذْقَـانِ

عِزُّ الْوَقَـارِ وَعِزُّ سُـلْطَـانِ التُّقَى ... فَهُمَا الوَقَـارُ وَلَيْسَ ذَا سُـلْطَـانِ

---

(١) ينظر: «تاريخ دمشق -دار الفكر» لابن عساكر (٤٠/ ٣٧٥).

ثم قالت: هذا هو المُلك، لا مُلك أبيك الذي يُسَاق له الناس بالعصا[1]، هذا يقعد الناس في حلقته محبةً وتدينًا، يمتنع عن الجواب يسكتون جميعًا كما كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا سكت سكتوا، ولا يتحركون كأنَّ على رؤوسهم الطير، لأنَّ من وقع على رأسه الطير مِن أخف حركة يطير الطير، فهذا فيه بيان الأدب والسكينة مع المعلم، والتواضع، والوقار أمامه، فهذا هو العلم، هذه صور فقط مختصرة جدًا تُذَكِّرنا جميعًا بمنزلة هذا الأمر الذي نحن وإياكم لأجله في هذا المسجد.

ولكن هذا العلم -كما قلت لكم- يحتاج إلى[2] صبر، ويحتاج إلى تضحية، ويحتاج إلى جدٍ واجتهاد.

فالشاهد: هذا العلم الذي نحن في صدده الناس في تحصيله على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: حصَّل ووصل.

والقسم الثاني: حصَّل ولم يصل.

والقسم الثالث: استمع ولم يُحصِّل.

هؤلاء الناس هم في العلم على هذه الطبقات.

أمَّا الذي حصَّل ووصل؛ فهذا الذي مشى المشي الصحيح في الطريق الصحيح، وسنأتي عليه.

وأما الذي حصَّل وما وصل؛ فهذا الذي تعلمه لدنيا، فحينما بلغ ما يريد من الدنيا وقف.

---

(١) هذه القصة مع الأبيات السابقة لم أقف عليها في نفس الموضع وبهذا السياق، وذُكرت الأبيات في عدة مواضع يثنون بها على الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، ولكن ذكر الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «البداية والنهاية -ط هجر» (١٣/ ٦١١) في ترجمة الإمام ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقدم مرة إلى الرقة، وبها هارون الرشيد، فلما دخلها انجفل الناس يهرعون إلى ابن المبارك، وازدحم الناس حوله، فأشرفت أم ولد للرشيد من قصر هناك فقالت: ما للناس؟ فقيل لها: قدم رجل من علماء خراسان يقال له: عبد الله بن المبارك. فانجفل الناس إليه. فقالت المرأة: هذا هو الملك، لا ملك هارون الرشيد الذي يجمع الناس عليه بالسوط والعصا والرغبة والرهبة).

(٢) هنا الشيخ يسأل عن الأمور الثلاثة التي ذكرها في أول المحاضرة، ويعطي المجيب هدية مقدَّمة من الشيخ حسين معافا -جزاه الله خيرًا-.

صَـلَّى وَصَـامَ لِأَمْرٍ كَـانَ يَطْلُبُـهُ فَلَمَّا انقَضَى الأَمْرُ لا صَلَّى وَلا صَامَا[1]

فبعد مدة قريبة -أو قصيرة- وإذا به يرجع أشبه ما يكون بالعوام.

وأما الثالث: فهذا العامي يحضر الجلسة مع أهل العلم، ما حصَّل، لكنه لا يشقى -إن شاء الله-، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم-: أنَّ المرء إذا عرف المطلوب يحقر ما بذل في سبيل تحصيله والوصول إليه.

وثَمَّ عوائق كثيرة جدًا، وهي عنوان هذه الكلمة، تحول بين التحصيل والتأصيل الذي يُوْصَل به إلى العلم الصحيح، وهي كثيرة، ولكن ألخِّص ما ييسره الله ﷻ، لا أقول لكم ثنتين ولا ثلاث ولا خمسًا ولا عشرًا، الذي ييسره الله في هذا اللقاء، واعلموا أنَّ ما يتيسر هذا على حسب اجتهادي أنا، والباقي أكثر وأكثر، فقد أُلِّفت في ذلك الكتب، وخُطِبَ فيه بالخطب، ووعظ فيه بالمواعظ، وألقيت فيه المحاضرات، ولا يمكن أن نجمعها كلها في هذا اللقاء، ولكن ما لا يُدرَك كُلُّه لا يُترك جُلُّه.

فنقول: أول العوائق والموانع والقواطع التي تحول بينك وبين التحصيل الصحيح الذي تصل به للعلم النافع: هو إخلاص النية لله -تبارك وتعالى-، فإنَّ من أخلص النية وفَّقه الله ﷻ.

والعلم عبادةٌ من أجلِّ العبادات [2]، العلم نعمة عظيمة، وعبادة جسيمة، يتقرب بها العبد إلى الله -تبارك وتعالى-، فإذا طلبه لله وفَّقه الله، وإن طلبه لغير ذلك لم يوفِّقه الله، بل حرمه انتفاعه به في الدنيا، وأثمه ينتظره يوم القيامة إن لم يتب قبل المغادرة من هذه الدنيا.

---

(١) ينظر: «الدر الفريد وبيت القصيد -دار الكتب العلمية» (٧/ ٩١) للمستعصمي.

(٢) تنبيه: ذكر الشيخ هنا حديثًا خطأً، وهو ليس بحديث، وإنما هو قول لبعض السلف، وليس كلامًا للنبي ﷺ، وحذفته بطلب من الشيخ -جزاه الله خيرًا-.

يقول عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ، لا يَتَعَلمُهُ إِلا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا**» مال، وظيفة، ولاية، جاه، قولوا ما شئتم من أمور الدنيا «**لَمْ يَرِحْ رائحةَ الجنةِ**»(١) وهذا جزاءٌ وفاق؛ وذلك لأنَّ هذا العلم نفيس، فإذا جاء هذا المتعلم الذي ضعف عقله، فبذل النفيس لتحصيل الخسيس؛ ناسب أن يُذَلَّ يوم القيامة كما أذلَّ هذا العلم النفيس لمطالب الدنيا الخسيسة، فهذا جزاءٌ من الله وفاق، أهان النفيس لأجل الوصول به(٢) يتوصل به إلى الخسيس، فناسب أن يذله الله يوم القيامة جزاءً وفاقًا.

ولهذا أدرك السلف هذه المسألة، ورأوها -حفظكم الله وحفظني من مكره ﷻ- رأوها من مكر الله للعبد.

قال حماد بن سلمة -ومَن هو حماد بن سلمة! رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى ورضي عنه، الإمام العَلَم في الحديث والسُّنَّة رَحِمَهُ اللَّهُ الذي قال فيه أحمد مادحًا له ما قال- يقول: (من طلب الحديث لغير الله مُكِرَ به)(٣)، ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ [النمل:٥٠-٥١]، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠]، ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء:١٤٢] ﷻ، فمن فَعَلَ هذا الفعل مُكِرَ به، ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩]، فمن طلب هذا العلم -علم الشريعة- لغير الله؛ فلا يأمن مكر الله ﷻ به.

يقول القائل في هذا معاتبًا لبعض من سلك هذا المسلك:

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (٨٤٥٧)، وأبو داود في «سننه» برقم (٣٦٦٤)، وابن ماجه في «سننه» برقم (٢٥٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٦١٥٩).

(٢) هنا الشيخ -حفظه الله- كأنه سبق لسانه، ثم صحح، فذكرته كما هو في التسجيل.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية -دار الفكر» (٦/ ٢٥١)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله -ت نشأت المصري» (٢/ ١٥٩) برقم (١١٥٣)، والخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع -دار الناشر المتميز» (١/ ١٦٧) برقم (١٩).

يَـا جَـاعِـلَ الْـعِـلْـمِ لَـهُ بَـازِيـاً يَصْـطَـادُ أَمْـوَالَ المَسَـاكِـينِ
احْـتَـلْـتَ لِـلـدُّنْـيَـا وَلَـذَّاتِهَـا بِـحِـيـلَـةٍ تَـذْهَـبُ بِـالـدِّيـنِ
فَـصِـرْتَ مَجْنُونًا بِهَا بَعْدَمَا كُـنْـتَ دَوَاءً لِـلْـمَـجَـانِـينِ
أَيْـنَ رِوَايَـاتُـكَ فِي سَرْدِهَـا عَنِ ابْنِ عَوْنٍ وَابْنِ سِـيرِينِ(١)
إِنْ قُـلـتَ أُكْـرِهْـتُ فَـمَاذَا كَـذَا زَلَّ حِمَـارُ الْـعِـلْـمِ فِي الـطِّـينِ(٢)

نسأل الله العافية والسلامة، وهذا من كلام عبد الله ابن المبارك لابن عُلَيَّة، فاستعفى من بيت المال، وكان قد عُيِّن عليه، فقال فيها هارون: أفسده علينا ذلك الفتى المروزي.

فالشاهد: مخاتلة الدين بالدنيا هذا لا يخفى على الله، فيجب على العبد أن يخلص النية لله -تبارك وتعالى-، وإذا أخلص النية لله؛ ليعلم أنه سيعرض له بين الفينة والأخرى من وساوس الشيطان، فعليه ألا يستجيب له، ويجاهد نفسه، ويجالدها في هذا.

يقول سفيان: (ما جاهدت نفسي في شيء أكثر مما جاهدتها في نيتي)(٣)، ويقول: (تعلمنا هذا العلم للدنيا فأبى أن يكون إلا لله)(٤) لماذا؟ لأنه استمر فيه، وكلما استمر فيه كلما وقف على شيء من النصوص واطَّلع على شيء من الأدلة، اطَّلع على حديث رسول الله ﷺ، فكل يومٍ يزدادُ علمًا.

فِي ازْدِيَـادِ الـعِـلْـمِ إِرْغَـامُ الـعِـدَا وَصَـلاحُ العِلْمِ إِصْـلاحُ العَمَلْ(٥)

---

(١) قال الشيخ هنا: ويروى: أين رواياتك في ذمِّها.

(٢) ساقه بسنده ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله -ت نشأت المصري» (٢/ ١٣٥) برقم (١٠٩٨).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية -دار الفكر» (٧/ ٦٢)، والخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع -دار الناشر المتميز» (٢/ ٩٢) برقم (٧٠١) -واللفظ له-: (ما عالجت شيئا أشد عليَّ من نيتي، إنها تقلَّب عليَّ).

(٤) ذكره الماوردي في «أدب الدين والدنيا -ط دار المنهاج» (ص ١٣٨) بهذا اللفظ، وأخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله -ت نشأت المصري» (٢/ ٢٣٧) بلفظ: (كنا نطلب العلم للدنيا فجرنا إلى الآخرة).

(٥) البيت من «لامية ابن الوردي».

فمن ازداد في العلم؛ ازداد معرفة بالله وبشرعه، وازداد معرفة بنفسه وبعدوِّه الشيطان، فعلى ذلك يجتهد كل الاجتهاد في محاربة النفس والشيطان.

وَجَاهِدِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِهِمَا وَإِنْ هُمَا مَحَّضَاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِمِ[1]

فالشاهد: هذا العلم يجب أن يُطلب لوجه الله الكريم، لا يُراد به الرياء، ولا يراد به السمعة، فإنَّ من أراد به الرياء والسمعة؛ يُسَمِّع الله به يوم القيامة، كما هو في قصة الثلاثة الذين أول ما تُسَجَّر به جهنم، ومنهم: الذي قرأ القرآن، فيؤتى به يوم القيامة، فيعرِّفه الله نعمه عليه، فيعرفها، فيقول له ربنا ﷻ: ما عملت فيها فيقول: أي ربي قرأت القرآن، وأقرأته فيك، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة كذبت، ثم يؤمر به فيلقى على وجهه في النار، وهكذا المتصدق، وهكذا المجاهد[2]، فهؤلاء الثلاثة أول مَن تُسَجَّر بهم النار -عياذًا بالله من ذلك-.

فالإخلاص هذا أعظم سبب ينفع الله به صاحبه، وعدم الإخلاص أعظم سبب يقطع الله به طريق صاحبه في العلم؛ وذلك لأنه إنما يمشي إلى شيء دنيوي قد رسمه في مخيلته وفي ذهنه وقلبه، فإذا وصل إليه توقف عند ذلك، فينقطع، ويتوقف، فيعود بعد ذلك مثل العوام أو شبيه العوام، وهذا العلم يبقى حجة عليه، نسأل الله العافية والسلامة، والواقع المشاهد أكبر شاهد، فكم هم الأوائل الذين تخرَّجوا في الجامعات وشُغِلوا بالدنيا لا ذِكر لهم، وكم هم المتأخرون عنهم في التقديم واشتغلوا بالعلم والمواصلة فيه، فانتفعوا، وعمَّ الانتفاع بهم.

فالله الله -معاشر الإخوة-: بالإخلاص في النية، فإنها هي سر النجاح: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة:٥]، هذا هو الدين القيِّم؛ الإخلاص، والمتابعة لرسول الله ﷺ.

---

(١) البيت من «البردة» للبوصيري.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (١٩٠٥).

أما العائق الثاني من العوائق: فهو الاشتغال بالدنيا، وصاحب العلم لا ينبغي له أن يشتغل بالدنيا إلا بقدر الكفاف الذي يتبلَّغ به على طلب العلم أو إلى طلب العلم، فيحفظ به ماء وجهه، ويعف نفسه عن ذل السؤال، فيبقى شريفًا عفيفًا، يُعظِّم نفسه عن تدنيسها بذُلِّ السؤال، ليبقى مُعظِّمًا لجانب العلم وحرمة العلم، فتبقى له هيبته وعظمته عند الناس، فعليه أن يأخذ البلغة التي تكفيه، وتصون ماء وجهه، أما الاشتغال بالدنيا؛ فإنه يفوِّتك العلم -ولا شك-، وإن لم يفوِّتك العلم كلِّيةً فوَّت عليك كثيرًا منه، وقصة حديث أبي هريرة من أظهر الأدلة في هذا، يقول ﷺ: (يَقُولونَ: أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَكُنْتُ امْرَءاً مِسْكِيناً، صَحِبْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي)، وذكر ﷺ حال الناس مع أنه متأخر في الإسلام، أسلم عام خيبر، قال عن المهاجرين قال: (أَمَّا إِخْوانُنا الْمُهَاجِرُونَ فَكَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ فِي الأَسْوَاقِ، وأَمَّا إِخْوانُنا الأَنْصَارُ فَكَانَتْ لَهُمْ أَرْوَاحٌ يَرُوحُون إِلَيْهَا)[1] لهم أعمال، لهم مزارع، لهم كذا، وهكذا المهاجرون من مكة، وأما هو ﷺ فكان من أهل الصُّفَّة، فلزم رسول الله ﷺ مدة يسيرة، وحفظ منه حديثًا كثيرًا، فرأى منه تفلتًا، فشكى إلى النبي ﷺ ذلك ، فقال له: (يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنْسَاهُ)، قَالَ: «**ابْسُطْ رِدَاءَكَ**». فبسط رداءه ﷺ، فجمع رسول الله ﷺ بيديه هكذا وحَثَا في ردائه ثم قال: «**اضمُمْهُ إِلَيْكَ**» قال: (فما نسيت شيئًا مما سمعته من رسول الله ﷺ)[2].

فكان من أواخر الصحابة إسلامًا، وهو حافظ أصحاب رسول الله ﷺ بل الأمة على الإطلاق ﷺ، ولهذا روايات أبي هريرة ﷺ أكثر من غيره، وهو أكثر الصحابة رواية، ولذلك كان له النصيب الأكبر من بغض الرافضة، وذمِّهم، وسبِّهم، عليهم من الله ما يستحقون، حتى صرَّحوا بذلك في منابرهم، وفضحهم الله به على رؤوس الأشهاد في هذه الآونة الأخيرة بأنه

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (١١٨)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٢٤٩٢).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (١١٩)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٢٤٩٢).

كذَّاب، كم وكم وكم كذب على رسول الله ﷺ! هكذا يقولون، قاتلهم الله أنَّى يؤفكون، وذلك يغيظهم؛ لأنه ﷺ أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ، وقد أجاب عن هذا الإشكال: كيف يكون متأخر الإسلام وأكثر الصحابة حفظًا! بيَّنه -رضي الله تبارك وتعالى عنه-، فأبو هريرة ﷺ كان يأتي إلى مسجد النبي ﷺ وله مجلس بجوار الحجرة، وأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- تستمع إليه وهو يُحدِّث كالسيل الهادر ﷺ ، حتى قيل فيه اعتذارًا له أنه كما قال القائل: إني آتيكم وأنا أريد أن أتجوَّز؛ يعني اختصر في الكلام، فتتدفق القوافي على فيَّ، من سعة علمه ﷺ، وهو الذي شبَّهته أم المؤمنين عائشة بصوت الديك البعيد المدى، يسمعه أهل البلدة جميعًا، فهذا علم أبي هريرة ﷺ.

فالحاصل: أنَّ الاقتصاد مطلوب، وأما الاشتغال بالدنيا فهذا يُذهب عليك الوقت، ويُذهب عليك البركة، ويُذهب عليك التعلم والطلب والتحصيل، على أنه قد كان في سلفنا الصالح قلة قليلة من أهل العلم من ذوي المال والغنى واليسار، لكن هؤلاء لم يكونوا على الطريق التي عليها بعض الناس في هذه الأعصار المتأخرة.

فأبو حنيفة كان تاجرًا، ولكن كان يأخذ جزءًا من الوقت، ويغلق حانوته، ويذهب إلى المسجد، مَن يفعل هذا من التجار اليوم؟!

هكذا ابن المبارك؛ كان تاجرًا غنيًا، ولكن كان مُوْكِلاً بذلك من يقوم عليه، وهو متفرغ للعلم.

وهكذا البخاري؛ ترك له والده -رحمهما الله- مالاً عظيمًا، فأقام عليه من يستصلحه له، وكان ينفق منه، ولم يشتغل بالمال هو.

فأنت إن كان عندك شيء من المال فأسنِد العمل فيه لغيرك، إذا كنت لك نهمة في العلم وميل إلى العلم ورغبة في العلم، فالله ﷻ يفتح عليك فيه، ويَمُنُّ عليك فيه بمننه العظيمة ومواهبه الكثيرة، فتنتفع.

وَمَا أَحْسَنَ الدِّيْنَ وَالدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا وَأَقْبَحَ الكُفْرَ وَالإِفْلاسَ بِالرَّجُلِ[1]

الشاهد: أنَّ الدنيا -معاشر الأحبة- تنقص عليك حتى إيمانك إذا اشتغلت بها، والدليل على ذلك حديث ثعلبة وقوله للنبي ﷺ: يا رسول الله، إنا إذا كنا عندك فحدثتنا حتى كأنا نرى الجنة عِيانًا، فإذا خرجنا من عندك وعافسنا الأموال والأزواج والضياع أنكرنا ذلك من قلوبنا، فقال له النبي ﷺ: «**يَا حَنْظَلَةُ، لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عَلَيْهِ عِنْدِي لَصَافَحَتْكُمُ المَلَائِكَةُ، وَلَكِنْ سَاعَةً وَسَاعَةً**»[2].

فالشاهد: ولِّ على المال من يقوم به، هذا الأمر الثاني.

الأمر الثالث: هو الاستعجال في الطلب، فالمرء كما قال بعض السلف في السابقين قالوا: (يطلب الحديث ثلاثة أيام، فينقطع، ثم يقول: أنا مُحَدِّث!) ثلاثة أيام ثم ينقطع ويقول أنا مُحَدِّث! ماذا حصَّل؟! هذه مصيبة، الاستعجال مصيبة.

قال ﷻ في قصة موسى -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام- مع الخضر -عليه السلام-: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ٧٠﴾ [الكهف:٦٦-٧٠].

---

(١) ينظر: «خزانة الأدب وغاية الأرب» (١/ ١٣١) لابن حجة الحموي.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (٢٧٥٠).

فكان من قصته الذي تعلمون، وقول النبي ﷺ: «**يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى لَيْتَهُ صَبَرَ حَتَّى نَرَى**»[(١)].

فالحاصل: الصبر هذا أمر لا بُدَّ منه، فلا يزال من يطلب العلم لا يزال يستفيد إلى آخر حياته في هذه الحياة الدنيا، ولا يمكن أن يتعلَّم العلم في عشية وضحاها.

مالك رَحِمَهُ اللَّهُ يقول لأصحابه لما عرض عليهم «الموطأ» في قريب من شهر يقول: (كتاب ألَّفته في عشرين عامًا تأخذونه في شهر، ما أقلَّ ما تفقهون فيه، ما أقلَّ ما تفقهون فيه)[(٢)] فلا بُدَّ من الصبر، واصبر، واحتسب أيها الطالب حتى تحصِّل، مَن لم يصبر لن يظفر بشيء من العلم أبدًا.

الصبر باب مهم في التحصيل، واليوم نرى بعض أبنائنا يحضر الدورة العلمية أو الدورتين، ويدرس السنة الأولى في الكلية، ثم يدخل فيه العجب! نسأل الله العافية، بعض لا أقول الجميع، أقول بعض، فيأتيه مثل هذا البلاء، فيرى نفسه أنه قد ساوى كبار العلماء، ويريد أن يكون مثلهم وهو لم يدرس إلا ثلاثة أشهر، ويريد أن يُحَصِّل ما حصَّله شيخه في أربعين سنة يُحصِّله في أربعة أشهر! هذا ما هو صحيح أبدًا، الأولون كانوا يصبرون ومع إخلاصهم يؤجرون ويُحصِّلون.

يقول الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: (كان أو كنا رأينا أناسًا يتعلمون ما يتعلمون إلا يسيرًا، ثم نرى ذلك على صلاتهم، وخشوعهم، وسمتهم، وكلامهم)[(٣)] يظهر فيه العلم، فإذا ظهرت بوادي العلم فيه من أول أمره؛ فهذا أُرجُه -أُرجُ الخير منه-، أما إذا لم تظهر ورأيت فيه المشاكسات، ورأيت فيه المناقشات، ورأيت فيه العُجب، ورأيت فيه التعالي على زملائه، ورأيت فيه الامتحان لأشياخه، أو لبعض أشياخه، أو الاعتراض عليهم؛ اعلم أنَّ هذا لن يُحصِّل خيرًا أبدًا، أبدًا.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (١٢٢) واللفظ له، ومسلم في «صحيحه» برقم (٢٣٨٠): «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا».

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد -مؤسسة الفرقان» (١/ ٦٩٤) عن عمر بن عبد الواحد صاحب الأوزاعي أنه قال: (عرضنا على مالك الموطأ في أربعين يومًا، فقال: كتاب ألفته في أربعين سنة، أخذتموه في أربعين يومًا، قلَّما تفقهون فيه).

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي-دار الناشر المتميز» (١/ ٣٠٣) برقم (١٧٥): (كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يُرى ذلك في تخشعه وهديه ولسانه وبصره ويده).

وهذا -للأسف- معاشر الأحبة يعني نراه الآن في بعض الطلبة، فإذا تحمَّله إخوانه وشيوخه أحيانًا، ثم أحيانًا، ثم أحيانًا، ثم أدَّبه المعلم نفر، وإذا نفر اقفى، وإذا اقفى انقطع، وإذا انقطع ذهب العلم كله، فما حصَّل شيئًا بسبب الاستعجال.

الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ رأوا معه يومًا محبرته وهو في آخر أيامه قبل أن تأتيه الفتنة والمحنة، فقيل له: أبو عبد الله، إلى متى مع المحبرة؟ قال: (مع المحبرة إلى المقبرة)(١).

فلا يزال المرء يتعلَّم حتى يموت، فإذا لم تصبر فإنَّ هذا عائق من عوائق الطلب، ومن لم يصبر يوشك أن ينقطع ويتوقف، فعليك بالصبر، الله ﷻ قال في المشركين مع النبي ﷺ حينما قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ مرة واحدة، قال ﷻ في الرد عليهم: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان:٣٢]، ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء:١٠٦]، وقال ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة:١٦-١٨].

فالاستعجال في العلم؛ هذا يُفوِّت عليك العلم، فإنه قد تقرَّر عند السلف، وجاءت عبارتهم الجميلة الجامعة في هذا حينما قالوا: (من رام العلم جملة حرمه جملة)(٢) من رامه جملة مرة واحدة حرمه جملة، النبي -عليه الصلاة والسلام- نزل عليه هذا القرآن في ثلاث وعشرين سنة منجَّم حسب الوقائع والأحداث والمناسبات، وفي آخر الأمر نزل عليه قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ﴾ [النصر:١-٢]، وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد -مكتبة الخانجي بمصر» (ص٥٥).

(٢) أخرج ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله -ت نشأت المصري» (١/ ٤٣٤) برقم (٦٥٢) عن يونس بن يزيد أنه قال: قال لي ابن شهاب: يا يونس لا تكابر العلم؛ فإن العلم أودية، فأيها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه، ولكن خذه مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملة، فإنَّ من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة، ولكن الشيء بعد الشيء مع الأيام والليالي)، وأخرجه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي-دار الناشر المتميز» (١/ ٥١٨) برقم (٤٥٢) بنحوه.

فلا بُدَّ من الصبر، ولا بُدَّ من الاحتساب في هذا الباب، فإنك حينما تبدأ في الطلب لن يُحتاج إليك، فإذا صبرت وثابرت وواصلت؛ كتب الله ﷻ لك الأجر، ورزقك التحصيل الصحيح، ثم بعد ذلك يُحتاج إليك، وسنذكر قصة بعد الأذان إن شاء الله.

من القصص التي أذكرها لأحبتي وأبنائي وإخواني في الصبر تذكيرًا فقط، والذكرى قد مدح الله أهلها المنتفعين، وشهد لهم بالإيمان وإلا هي إن شاء الله معروفة عندكم:

الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي رحمه الله صاحب كتاب «الكمال في أسماء الرجال» رحمه الله تعالى، والذي على نسخته من «صحيح البخاري» تفرَّعت اليونينية، والتي عليها تفرَّعت أدق نُسَخ «صحيح البخاري»، بال الدم مرتين وهو في السفر يطلب الحديث، باله مرتين، تنقطع به النفقة، ويحفى، ويتعب، وهو صابر في هذا، ولا يتكلم بشيء إلا في آخر حياته قال كلمة واحدة لابنه، وعندها أخذ أهل العلم يشرحون معاناته في طلب الحديث، قال له: يا بني، وكان في يوم وفاته أو قبله بيوم، توضأ بماء دافئ، وكان الجو شاتيًا في القاهرة رحمه الله، وقد أفتى الأشاعرة والصوفية في زمانه بقتله، وإهدار دمه، وقالوا للسلطان: اقتله، وذلك لأنه كان يُحَدِّث بأحاديث الصفات، وهؤلاء أشاعرة خُلَّص، وقالوا للوالي في بلاد دمشق: هذا يُفسِد على الناس عقائدهم، فالشاهد قبيل وفاته توضأ، ثم قال له ولده: أتشتهي شيئًا يا أبي؟ قال: نعم، أشتهي الجنة ورؤية الله ﷻ، قال: أتوصينا بشيء؟ قال: أما دَيْنٌ من الدنيا لي أو عليَّ؛ فما لي عند أحد، ولا لأحد عندي شيئًا، **ولكنِّي أوصيك بتقوى الله، وهذا العلم الذي تعبنا عليه لا تضيعوه**[1].

---

(١) ينظر: «ذيل طبقات الحنابلة» لابن جب (٣/ ٤٣)، ويستفاد جدًا من كتاب «آل قدامة والصالحية» لإبراهيم الزيبق (ص٧٢).

فهذه الجملة شُرِحَ عندها حال الحافظ عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى مع العلم وصبره وتحمله المشاق فيه، وهو رَحِمَهُ اللَّهُ زميل الموفق ابن قدامة ابن عمته، وهو خال الحافظ الضياء المقدسي رحمهم الله تعالى جميعًا.

ولو قرأتم في سير هؤلاء آل قدامة في الصالحية لوجدتم العجب العجاب، حتى قال فيهم سبط ابن الجوزي، قال في هؤلاء قال: (رأيت أقوامًا كأني أرى صحابة رسول الله ﷺ حتى أنساني مقامي عندهم الأهل والأوطان)، وبقي عندهم(١).

فآل قدامة أسرة مباركة، لا جدهم الأول أحمد، ولا ابنه الشيخ أبو عمر، ولا أخوه الموفق، ولا ابن أخته الضياء، ولا ابن الضياء كذلك إبراهيم، ولا ولا ولا..، عُد من سير هؤلاء الصالحين حتى قال فيهم القائل:

الصالحيةُ جنَّةٌ والصالحونَ بها أقامُوا
فعلى الديارِ وأهلِها منِي التَّحِيَّة والسَّلامُ(٢)

عشر غرف بنيت في دَيْرِهِم في سفح جبل قاسيون، كانت جامعة من أعظم الجوامع في الدنيا في ذلك الحين، في سفح جبل قاسيون، عشر غرف لآل قدامى أصبحت مركز العلوم من الصين يفدون إليها حدود العالم الإسلامي إلى المغرب، يفدون عليهم، ويتوافدون عليهم، مجالسهم كلها للإقراء، والقرآن، وتحفيظ القرآن، والفقه، والحديث، والتفسير، والوعظ، والتعليم -رجالاً ونساءً وأطفالاً-، فلم يبارَك في أسرة كما بورك في هذه الأسرة في العلم خاصة، حتى إنَّ العلم استمر فيهم، وفي أولادهم، وأحفادهم، وأبناء أحفادهم، وأحفاد

---

(١) قال سبط ابن الجوزي في كتابه «مرآة الزمان» (٢٢/ ١٣٦): (وصحبتُ الشيخ أبا عمر شيخ المقادسة، وشاهدتُ منه من الزهد في الدُّنيا والورع والفَضْل والتواضع، ومن أخيه الشيخ موفق الدين، ونسيبه الشيخ العماد ما نرويه عن الصَّحابة والأولياء الأفراد، فأنساني حالُهم أهلي وأوطاني مع بقاء أعياني، ثم عُدْتُ إليهم بعد ذلك على نية الإقامة، عسى أن أكون رفيقهم في دار المقامة).

(٢) ينظر: «المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد -الرشد» لابن مفلح (١/ ٩٥).

أحفادهم، إلى ثلاث مئة وخمسين سنة، خرجوا من جمَّاعيل -في بيت المقدس بنابلس ببيت المقدس- هاربين في عهد الصليبيين واستيلائهم على فلسطين فارِّين بدينهم، حتى نزلوا في سفح جبل قاسيون، أولاً نزلوا في دمشق -خارج دمشق في بابها الشرقي-، ثم ثلاث سنين وبعدها انتقلوا إلى الصالحية، فكان من أمرهم ما كان.

فإذا ما قرأتم أحوالهم -حقيقةً- أحوال رجالهم الكبار، وأشياخهم المشاهير، وأولادهم، إذا قرأتم حال هؤلاء وحال نسائهم، التاريخ حفظ لنا حتى أسماء نسائهم، وبناتهم، وبنات بناتهم، وبنات أولادهم امرأةً امرأةً فضلاً عن الرجال، إذا قرأتم حال هؤلاء ووجدتم صبرهم في العلم؛ تستقِلُّون ما نحن فيه، بل نزهد فيما نحن فيه من الصبر على العلم، شيء عجيب.

فقضية العلم يا إخوة؛ العلم إذا وهبته كلك أعطاك بعضه، فكيف إذا لم تعطه شيئًا؟

رابعًا: عليكم -حفظكم الله- بأن تتجنَّبوا الفوضى العلمية، فإنَّ هذه من عوائق التحصيل، وقواطع التحصيل، الفوضى العلمية يقابلها التأصيل الصحيح.

التأصيل -يا عباد الله- لا يكون إلا بالتدرج، والتدرج في العلم مطلوب لا بُدَّ منه:

الْـيَـوْمَ شَيْءٌ وَغـدًا مِـثْـلُـهُ ... مِنْ نُخَبِ الْعِلْمِ الَّتِي تُلْتَقَطْ

يُحَصِّـلُ الْمَـرْء بِهَـا حِـكْـمَـةً ... وَإِنَّمَا الْبَحْرُ اجْتِمَاع النُّقَطْ[1]

فالتدرج على قسمين:

١- تدرج في أنواع العلوم.

٢- وتدرج في العلم نفسه الذي تريده، أو تميل إليه، أو تريد أن تُبَرِّز فيه، أو تحبه، تريد أن تتخصص -كما يقال بلغة العصر- فيه.

---

(١) تنسب هذه الأبيات لبهاء الدين ابن النحاس الحلبي النحوي كما في ترجمته في «بغية الوعاة» للسيوطي (١/ ١٤).

أما التدرج العام؛ فذلك بأن تُبْعِد عن نفسك معرَّة التجهيل، هذا التدرج العام، تُبْعِد عن نفسك معرَّة التجهيل، فإذا تكلم الناس في اللغة العربية وإذا بك تعرف، إذا تكلم الناس في أصول الفقه وإذا بك تعرف، وإذا تكلم الناس في أصول التفسير وإذا بك تعرف، وإذا تكلم الناس في أصول الحديث وإذا بك تعرف، وإذا تكلم الناس في الفقه وإذا بك تعرف، إذا تكلم الناس في الحديث تعرف، في التاريخ تعرف، فلا بُدَّ، فالتدرج هذا لا بُدَّ منه، فتأخذ في العلوم الذي ترفع به عن نفسك معرَّة التجهيل.

والثاني: التدرج في العلم الواحد، فتبدأ فيه بمختصراته، ثم متوسطاته، ثم موسعاته، فإذا طلبت هكذا وصلت، وإذا لم تطلب على هذا النحو؛ فإنك لن تصل بحال من الأحوال.

وهذا طريقه ما كنت قد ذكرته لكم مرارًا وهو قول القائل:

وَمَا حَوَى الغَايَةَ فِي أَلْفِ سَنَه ... شَخصٌ، فَخُذْ مِنْ كُلِّ فَنٍ أَحْسَنَه

بِحِفْظِ مَتْنٍ جَامِعٍ لِلرَّاجِحِ ... تَأْخُذُهُ عَلى مُفِيْدٍ نَاصِحِ[1]

لا بُدَّ من الحفظ، ولا بُدَّ أن يكون المحفوظ -المتن المحفوظ- أن يكون من صفاته أن يكون معتبرًا في الفن، والمعتبر هو الذي يجمع للراجح في هذا الفن، والثالث أن تأخذه على المفيد الذي يفيدك إذا قرأت عليه، عنده علم، وناصح إذا لم تسأله ورأى حاجتك ابتدأك هو بالإفادة، هذا هو الناصح، المفيد الذي تسأله فتستفيد، الناصح الذي إذا رأى حاجتك أبدى لك النفع وإن لم تسأله، فهو مفيد ناصح، فلا بُدَّ من التدرج على هذا النحو في الفنون كلها، تأخذ في كل فنٍ المتن المعتبر، ثم تأخذه من أوله إلى آخره، فإن حصل الحفظ فهذا هو الأصل.

والعلم -حفظكم الله- بهذه المناسبة قيل فيه: علمي هو الذي يدخل معي الحَمَّام، في صدري، علمي هو الذي يدخل معي الحَمَّام، ما هو كتب، الكتب ما تدخل بها الحَمَّام، فذُكِرَ

---

(١) انظر: «ألفية السند» (ص١٦٦) لمحمد مرتضى الزَّبيدي.

الحَمَّام لأجل الحفظ، لأنَّ الكتب لا يُدْخَل بها الحَمَّام، كتب العلم محترمة، فإذا دخلت علمك في صدرك، علمك في صدرك، أنت تحرص على هذا:

عِلْمِي مَعِي أَيْنَمَا يَمَّمْتُ أَحْمِلُهُ ... بَطْنِي وِعَاءٌ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدِوقِ

إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِي ... أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ[1]

فالشاهد: لا بُدَّ من الحفظ، ولا بُدَّ من هذه المتون المعتبرة، ولا بُدَّ من التدرج فيها، أما الفن فأنت تتدرج فيه ابتداءً، توسطًا، وانتهاءً، فإذا مشيت على هذه الطريقة وصبرت حصَّلت، فهذا التأصيل الذي يحصل به التحصيل الصحيح، التأصيل الصحيح يحصل به التأصيل الصحيح، وهذا يحتاج أيضًا إلى الصبر، أما تريد أن تأخذ العلم في يوم وليلة، وعشيةٍ وضحاها؛ هذا ما يمكن، فإذا لم تؤصِّل لن تُحَصِّل.

ونحن الآن -للأسف- نرى الفوضى العلمية، يقرأ في الكتاب هذا، ويقرأ في الكتاب هذا، ويقرأ في الكتاب هذا، ويقرأ في الكتاب هذا! هذا خطأ، هذا شيء.

الشيء الآخر: تراه يريد أن يبدأ بالمطولات وهو لم يتقن المختصرات في الفن، مختصر في الفن ما أكمل مختصرًا، ويريد أن يأتي إلى المطولات! هذا غلط، لا بُدَّ أن تضبط الأصول ليصحَّ لك الوصول.

مثال: الآن حينما يعطيك شخص كتاباً أو بحثًا، ويقول لك راجعه، أنت تراجعه بالذي تحفظ وتعلم، ولَّا تروح تبحث في المكتبات؟! إذا لم يكن عندك محفوظ محصَّل بالطريق المؤصَّل ما يمكن أن تكتشف الأخطاء، فهذا في صدرك، العلم في صدرك، أما هذه الكتب في المكتبات، فهي بمثابة الأرصدة الكثيرة في البنوك، ما تستطيع تحملها، فترجع إليها عند حاجة الصرف في البيع والشراء تأتي من هذه البنوك، فتأخذ الأموال الوفيرة والكثيرة، فتشتري بها.

---

(١) ساقه بسنده الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي -دار الناشر المتميز» (٣/ ٣٢٤) برقم (١٧٧٩) من قول بشار بن بُرد، وينسب للشافعي وغيره.

هكذا هذه العلوم في الكتب الكبيرة؛ أنت تحتاج إليها عند التأليف، والتحرير، والردود، والمراجعة، ونحو ذلك، أما العلم الأصيل فهو الذي يكون معك في صدرك.

الأمر الخامس: ولعلنا نقف عنده ونكتفي به، هو الحذر الحذر من أن يأخذ الصغار على الصغار، والشباب على الشباب، مع توافر الأشياخ، فهذه طامة عظيمة تقطع على المرء الطريق، ولا يُحصِّل علمًا، فعليك بالبعد عن هذا، فإنك إن استمريت في هذا الطريق لا يمكن أن تُحصِّل؛ وذلك لأنَّ الطلبة إذا حصَّل بعضهم أو قرأ بعضهم على بعض؛ لن يجدوا الفائدة عندهم التي يجدونها عند الشيوخ.

وقد فسَّر ابن قتيبة(١) -وهو أحد علماء الحديث رَحِمَهُ اللَّهُ- فسَّر حديث(٢): «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَخْذ الْعِلْمُ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ**»، أو: «**الْتِمَاسُ الْعِلْمِ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ**»، أو: «**أَخْذُ الْعِلْمِ عَنِ الْأَصَاغِرِ**»، فالأصاغر فُسِّر بتفسيرين: بأهل الأهواء والبدع، وفُسِّر بالأحداث، الحَدَث، الحَدَث علمه قليل، وخبرته قليلة، وتجربته قليلة، فحدَّته قريبة، وطيشه كثير، وجهله أكثر، وعلمه قليل، بينما الشيوخ علمهم كثير، وقد ابتعدوا بموجب السن عن الطيش، والحِدَّة، والسَّفَه، واكتسبوا الخبرة، واستصحبوا التجربة، فهم عن الطيش أبعد، والفائدة عندهم أكثر وأكثر.

فالذي يأخذ عن الأحداث ويَدَعُ الشيوخ والكهول المتوافرين؛ هذا في الحقيقة لا يمكن أن يُحصِّل علمًا يقال فيه علم، يُحصِّل ثقافة، وذلك لقلة المادة عند الشباب، وكثرتها عند الشيوخ، وكم رأينا في هذا العصر الحديث كم رأيناه من بعض الشباب والصغار اقتنعوا بأخذ بعضهم

---

(١) ينظر: «الفقيه والمتفقه – ت العزازي» (٢/ ١٥٦) للخطيب البغدادي.

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» برقم (٦١)، ومن طريقه الطبراني في «المعجم الكبير -مكتبة ابن تيمية» (٢٢/ ٣٦١) برقم (٩٠٨)، وغيره، وللفائدة: ينظر: «جامع بيان العلم وفضله -ت نشأت المصري» لابن عبد البر (٢/ ١١٦-١١٧)، و«الجامع لأخلاق الراوي -دار الناشر المتميز» للخطيب البغدادي (١/ ٢٨٩-٢٩٠)؛ فإنَّ المحقق -البيضاني- قد خرَّجه هناك، و«الفقيه والمتفقه – ت العزازي» (٢/ ١٥٥-١٥٦) للخطيب البغدادي.

على بعض، ممن هو مثلهم، أو قريب منهم في السن، ثم كانت النهاية بأن أخذوا العلم مغلوطًا، وفهموه مغلوطًا، ثم ضلَّوا، ثم بعد ذلك إما انتكسوا، وإما انقطعوا.

وهذا مثاله من قديم: الخوارج، الخوارج -معاشر الأحبة- كان بين أيديهم أصحاب رسول الله ﷺ كانوا متوافرين، فلم يأخذوا عنهم، ما أخذوا عنهم، واستقلوا بأنفسهم، وأخذ بعضهم عن بعض، فاستقلوا بفقه القرآن ولم يفهموه، وتركوا الصحابة ﷺ فوقعوا في الضلال، ونحن من أربعين سنة -أو قريبًا منها- عايشنا كل من اشتطُّوا من الشباب وتركوا الطريق السُّنِّية السلفية الأثرية، وما رأينا السبب في هذا إلا تركهم للمشايخ الكبار، وأخذهم عن بعضهم البعض، وكلهم صغار -أبو خمسة عشر وستة عشر إلى عشرين، يأخذ عن أبو اثنين وعشرين وثلاثة وعشرين وأربعة وعشرين، ممن سمعته أذناي، أنا الذي أحدثكم، سمعته أذناي قبل أكثر من ثلاثين سنة وهو يقول: (ابن باز جاهل بالسُّنَّة!) ابن باز رحمه الله جاهل بالسُّنَّة! شيخنا، شيخ الإسلام في هذا الزمن، يقال عنه هذا! كيف؟ لأنه رأى جزء أو جزئين مخطوطة من كتب الأجزاء الحديثية وسألوا عنه الشيخ ابن باز قال: (والله ما أعرفه) هذا ما يدل على ورعه! ويدل على ما! على أمانته، ويدل على ما! ويدل على إيش؟ يدل على دينه المتين، هذا الجزء الصغير ما ضرَّه ما يعرفه، قال: جاهل بالسنة! ثم لم يزل هذا الإنسان حتى شطح شطحًا بعيدًا لا أريد أن أتكلم فيه، فانتكس وارتكس.

فالشباب -يا معاشر الأحبة- إذا أخذوا عن بعضهم والشيوخ بينهم ضَلُّوا، الخوارج جاءهم عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- بعدما استأذن عليًا في مناظرتهم، فلبس حُلَّةً كأبهى ما تكون من الحُلَل، جديدة، جاءته من اليمن، فكَّها، ولبسها، وجاء إليهم، فلما رأوه أول ما رأوه قال بعضهم لبعض: هذا رجل من قريش، وقريش قد قال الله فيهم: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف:٥٨]، لا تجادلوه، هذا من أول شيء، لا تجادلوه، فلما وفد

عليهم، الشاهد هنا: فقالوا له: مه يا ابن عباس ما هذا؟ قال: ماذا تنقمون؟ هذه الحُلَّة! فعرف، قال: والله لقد رأيت على رسول الله ﷺ حُلَّة أحسن منها، أجمل منها، إيش تنكرون عليَّ؟ مَن اتقى لله؟ أنا أَمِ النبي ﷺ؟ ثم قال: جئتكم من عند أصحاب رسول الله ﷺ ولا أرى فيكم واحدًا منهم، ما معهم ولا واحد من الصحابة، استقلُّوا بأنفسهم، ففهموا القرآن على فهمهم المنكوس، وفقههم المعكوس، فجاءت قضية القضايا ومصيبة المصايب في تكفير المسلمين: ومن لم يحكم، ومن لم يحكم، ومن لم يحكم، كلها عندهم واحدة كفر أكبر ناقل عن الملة، فعمدوا إلى آيات نزلت في الكافرين، فنزَّلوها على أهل الإيمان.

الشاهد: قوله: (وما أرى فيكم واحدًا منهم) من أصحاب رسول الله ﷺ الذين صحبوه، وسمعوا منه، وجالسوه، وتفهموا على يديه، وتعلموا على يديه، عايشوا التنزيل، سادات اللغة -رحمهم الله ورضي عنهم- أعلم الناس بكتاب الله ﷻ، وبسنة رسوله ﷺ لما ترك الخوارج الأخذ عنهم ضلوا، ضلوا، فهكذا الصغار إذا تركوا الشيوخ الكبار، ولم يطلبوا عليهم العلم، ولم يستفيدوا منهم، وانضوى بعضهم إلى بعض، وانضمَّ بعضهم إلى بعض، والتفَّ بعضهم على بعض؛ فإنهم لا يمكن أن يتعلموا، فاحذروا -رحمكم الله- من هذا الباب الخطير، فإنه من أعظم القواطع للعلم، واحرصوا -رحمكم الله- على أهل العلم الذين عُرِفوا به، واحرصوا على كبار الشيوخ، فإنَّ طلب العلو سُنَّة عمن سلف، فلا تأخذوا عن الحَدَث والشيوخ متوافرون، وليس يعني هذا أنَّ الحَدَث لا يستفاد منه، طالب العلم المتمكن يستفاد منه، لكن متى يا إخوة؟ يستفاد منه في المذاكرة، والمراجعة، والحفظ، والتسميع لك، والعرض عليه إذا كان قد أتقن وأخذ عن شيوخه، كما هو حال شيوخنا قديمًا؛ كانوا يجعلون كبار طلابهم للصغار، فيُسَمِّعونهم، ويراجعون لهم، ويتقنون عليهم المتون، أما الشروح فكانت لمن؟ كانت للشيوخ الكبار، ما يقبلك أصحاب الجامعة وأنت ما أخذت المتوسطة والثانوية، فهؤلاء نحن لا نمسحهم،

الشباب فيهم الخير والبركة، لكن بمرأى من الشيوخ، وأمام الشيوخ، وتحت نظرة المشايخ، يستذكرون مع إخوانهم، يراجعون لهم، يُثَبِّتون لهم حفظهم، يَفُكُّون لهم بعض العبارات التي يحتاجون إليها، نعم، أما التوجيه والتعليم والتفقيه والتدريس إنما هو على يد هؤلاء، فلا إفراط ولا تفريط، فلا بُدَّ من هذا، إذا لم يكن العبد سائرًا على هذا؛ فإنه سينقطع.

فمن أحسن التدرج وصل إلى التخرج، ومن لم يحسن التدرج فإنه لن يصل إلى التخرج، والتدرج إنما يتنقَّل فيه الإنسان من حِلَقِ أهل العلم(١).

الشاهد: معاشر الأحبة، العوائق كثيرة جدًا، وأنا في نفسي شيء ما أستطيع أخفيكم، الآن **يضاف إلى العوائق: الاشتغال بأدوات التواصل**، هذا ما أستطيع أن أدعه، ضيَّع الأوقات على طلبة العلم، وأنا أتأسف على طلبة العلم، أما الرَّعاء -وإن كنت أتأسف عليهم- لكن الحُرقة عليهم ليست كطلبة العلم، طلبة العلم الآن اشتغلوا بها، يقعد على الجوال أربع ساعات، خمس ساعات، ست ساعات، الليل كله وهو بلا فائدة، لو أنه أخذ كتابًا لأنهاهُ.

ركبتُ في وسيلة من وسائل النقل وضمَّنا يعني كراسي هذه الوسيلة ضمَّتنا كراسي هذه الوسيلة، فرأيتُ عجبًا؛ أمَّا أحد من رأيت فكان بيده مصحفًا، فقضى فيه البقرة، وآل عمران، وأمَّا الثاني فكنت أرى بين يديه كتابًا يقرأ فيه، فلما قاربنا الوصول وإذا به قد قطع جزءاً كبيرًا منه، وأمَّا الثالث -وكان لعله في الستين أو لعله زاد عنها- فمنذ أن ركبنا وهو يشتغل في الجوال بالكورة هذه الحبوب، الحبوب التي يلعبون فيها، ما أدري إيش يعني التي مثل الخرز، يلعب بها كذا، ويلعب بها كذا، ويلعب بها كذا، ويلعب بها كذا، ويلعب بها كذا! هذا كان بجواري! فقرابة يعني ثلاث ساعات، أربع ساعات في سفر وهو هذه شغلته، لأنه كنا من مطار إلى مطار،

---

(١) هنا الشيخ يسأل الحضور عما ذكره من القواطع.

فأربع ساعات وهو يشتغل بهذا الخرز، ما الذي استفاد منه؟ لا شيء، فهذه الوسائل -يا أحبة- الآن هذه مصيبة في هذا الجانب في تضييع الوقت، هذا واحد.

وجانب آخر: ليست هي موثوقة في تعلم العلم، ليست هي موثوقة في تعلم العلم، فالآن انفتح الناس عليها، وأصبح كل من أراد شيئًا ضرب فيها ويظن إيش! أنَّ هذا هو العلم المحقق! هذا غير صحيح، هذا غير صحيح، اللهم إلا في محل واحد، إذا كان المحل الذي تدخله لعالمٍ حَبْرٍ موثوق ومُوَثَّق في موقعه فنعم، تستمع شرحًا، تقرأ كتابًا، تقرأ فتوى، نعم، أمَّا ما عدا ذلك فالشر فيها كثير، -وللأسف- كثير من أبنائنا في هذا الوقت يشتغلون بهذه الوسائل التي ضيَّعت عليهم الأوقات، وفوَّتت عليهم التحصيل العلمي الصحيح، ولعلي أكتفي بهذا القدر، والله ﷻ أعلم، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين».

اعْتِنَاءُ

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

-عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْ والِدَيْهِ ومَشَايِخِه وَالْمُسْلِمِيْنَ أَجْمَعِيْنَ-

فِي الثَّلاثِيْنَ مِنْ شَهْرِ جُمَادَى الآخِرَة عَامَ سِتَّةٍ وأَرْبَعِينَ وأَرْبَعِمِئةٍ وأَلْفٍ مِنَ الهِجْرَةِ

من إصداراتنا

الإخوة الكرام:

حياكم الله في قنواتي عبر وسائل التواصل (أبو قصي المدني)،

قنواتي تعتني بنشر علم شيخنا الوالد الشيخ د. محمد بن هادي المدخلي حفظه الله، وتقريبه،

وسهولة الوصول إليه، وكذا نشر تلاواته الطيبة المباركة، ونشر المقاطع النادرة والدعوية والفوائد المهمة.

فيشرفنا اشتراككم في قنواتي حتى يصلكم كل جديد، وبجودة جيدة إن شاء الله تعالى.

ويسعدني أي اقتراح، وأي نصيحة، وجزاكم الله خيراً

أبو قصي المدني